الكذب والنسيان

كما يراهما « أبو العلاء المعرى »

للأستاذ كامل كيلانى

[تتمة ما نشر في العددين السابقين]

١٨ — شعر الضب :

ويندد فى رسالة الأغريض بالرواة الكاذبين فيقول : « وقد دى بأبى يوسف — رحمه الله — الاجتهاد فى إقامة الاستشهاد ، تى أنشد رجز الضب ، وإن معداً من ذلك لجد مغضب . أعلى ساحته يستعان بالقرض ، ويستشهد بأجناس الأرض . ما رؤية ده بنضير ، فما قولك فى ضب دامى الأظافير.

١٩ — كذب النجوم

وقد خشى أن يصل الكذب إلى الكواكب والنجوم فقال :

فياليت شعرى هل تُراعُ من الروى
وتركَعُ نُسكا بالمشاء وبالظهر

تكذب أن المين فى آل آدم غرائز جاءت بالنفاق وبالمهر

٢٠ — حديث مهلهل

ويسأل عدى بن ربيعة المعروف بمهلهل التغلبى ، أخبرنى سميت مهلهلا فقد قيل إنك سميت بذلك لأنك أول من هلهل شعر ، أى رققه . فيقول : إن الكذب لكثير . وإنما كان لى خ يقال له امرؤ القيس ، فأغار علينا زهير بن جناب الكلبى ، بيه أخى فى زرافة من قومه ، فقال فى ذلك :

توقل فى الكراع هجينهم[1] هلهلت[2] أثأر مالكا أوحنبلا

كأنه باز ، علتـــه كبرة يهدى بشكته الرعيل الأولا

فسمى مهلهلا ، فلما هلك شبهت به ، فقيل لى مهلهل . يقول الآن شفيت صدرى بحقيقة اليقين .

(١) يعنى بالهجين : زهير بن جناب .

(٢) هلهلت : قاربت .

٢١ — حديث المرقشين

ويسأل المرقش الأكبر عن الأبيات التى يرويها له بعض الناس :

« تخيرت من نعمانَ عودَ أراكة
لهنـد ، ولكن من يبلغه هندا

خليلى جوزا — بارك الله فيكما وإن لم تكن هند لأرضكما قصدا

وقولا لها : ليس الضلال أجازنا ولكننا جُزْنا لنلقاكم عمدا»

ويقول له : ولم أجدها فى ديوانك ، فهل ماحكى صحيح عنك ؟» فيقول المرقش : « لقد قلت أشياء كثيرة ، ولكنى سرقتها (أى : غفلت عنها وجهلتها) لطول الأبد .

وينعطف إلى المرقش الأصغر ، فيسأله عن شأنه مع بنت المنذر ، وبنت مجلان ، فيجده غير خبير ، قد نسى لترادف الأحقاب . فيقول : « ألا تذكر ما صنع بك جناب . فيقول : وما صنع جناب ؟ لقد لقيت الأقودين (أى : الدواهى) وشربت الأمرّين .

٢٢ — نطق اللسان

ومن أبرع ماقاله فى التنديد بالكذب قوله فى رسالة الغفران : « وإذا رُجع إلى الحقائق فَنُطْقُ اللّسان ، لا يُنبىء عن اعتقاد الإنسان ، لأن العالم مجبول على الكذب والنفاق . ويحتمل أن يظهر الرجل بالقول تديناً ، وإنما يجعل ذلك تزيناً ، يريد أن يصل به إلى ثناء ، أو غرض من أغراض الخالية أم الفناء . ولعله قد ذهب جماعة هم فى الظاهر متعبدون وفيما بطن ملحدون . ومايلحقنى الشك فى أن « دعبل بن على » لم يكن له دين ، وكان يتظاهر بالتشيع ، وإنما غرضه التكسب ، وكم أثبت نسباً بتنسب .

ولا أرتاب أن دعبلا كان على رأى الحكمى وطبقته . والزندقة فيهم فاشية ومن ديارهم ناشية .

٢٣ — الكذب الفنى

أما الكذب الفنى الذى كان يضطر إليه الخيال ، فقد أبدع شاعرنا فى الاعتذار عنه فى مقدمة سقط الزند — كما قلت فى

رسالة الهناء — حين عرض لتسويغ اضطراره إلى حذف أسماء من غالى فى مجاملتهم ، وأسرف فى تخيل المزايا الباهرة التى تحلها إياهم فى قصائده ، معتذراً عما ارتكبه من الشطط بأنه لم يعن أحداً منهم بما قال ، ولم يقصد — بما نظم فى ربان الحداثة (أول الشباب) وجنّ النشاط (شدة المرح) إلى غير مرانة الطبع ورياضته ، ثم شفع ذلك الاعتذار بآخر فقال : « ولم أطرق مسامع الرؤساء بالنشيد ، ولا مدحت طالباً للثواب ، وإنما كان ذلك على معنى الرياضة وامتحان النُّوس (الطبع) فالحمد لله الذى ستر بِشُفَّةٍ من قوام العيش ، ورزق شُبْعَة من القناعة أوفت على جزيل الوفر » .

* * *

ولكنه لم يلبث أن عزف عن هذا الباطل ، ونفر طبعه من تلك الأكاذيب فهجر الشعر قائلا فى مقدمة سقط الزند : « ثم رفضته (يعنى الشعر) رفض السَّقب غرسه ، والرأل (ولد النعام) تريكته (بيضته التى خرج منها وهو فرخ) ، رغبة عن أدب معظم جيده كذب ، ورديئه ينقص ويجدب (يعيب) . وهنا يقول : « وما وجد لى من غلو ، عَلِق — فى الظاهر — بآدمى ، وكان مما يحتمله صفات الله — عز سلطانه — فهو مصروب إليه .

وقد أخذ نفسه — فى قابل أيامه — بهذا العهد فوقف تمجيده وإجلاله على خالقه وحده ، كما ترى ذلك فى اللزوميات ورسالة الغفران ، والفصول والغايات .

٢٤ — المثل العليا

وقد أشار فى تلك المقدمة النفيسة إلى مبدأ جليل ما أجدر محبى الأدب العربى أن يتنبهوا إلى خطره ونفاسته ، فآثر أن يوجه مدائحه إلى المثل العليا — حيثما وجدت — فى أفذاذ الوهوبين ، من سالف القدامى الغابرين ، وقابل الذرارى القادمين ، فقال : « وما صلح لمخلوق سلف من قبل ، أو لم يخلق بعد ، فإنه ملحق به » . ثم أعلن براءته مما جح به طبعه ، فقال مستغفراً نادماً : « وما كان من محض المين لاجهة له ، فأستقيل الله العثرة فيه » .

ثم وصل إلى ذروة التوفيق فى تعليل الكذب الفنى وتسويغه ، فقال : « والشعر للخلد ، (للنفس أو القلب) مثل الصورة لليد : يمثل الصانع ما لا حقيقة له ، ويقول الخاطر (القلب) ، ما لو طولب به لأنكره » .

ثم لخص دستور الشعراء ومن ألف لفهم من رجال الفنون فقال : « ومطاق — فى حكم النظم — دعوى الجبان : إنه شجيع ، ولبس المِزهاة ثياب الزِّير ، وتحلى العاجز بحيلة الشهم الزميع (النشيط الجرىء) » .

* * *

ومما نقبسه فى هذا الباب قوله فى رسالة الشياطين ١٣٩ : وزعم صاحب المنطق فى كتابه الثانى من الكتب الأربعة : أن الكذب ليس بقبيح فى صناعة الشعر والخطابة . ولذلك استجازت العرب أن تقول فتفرط ، وتسرف فى الشىء فتفرق .

كامل كيلانى

إدارة البلديات — مبانى

تقبل العطاءات بإدارة البلديات (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم الخميس ٢٥ أبريل سنة ١٩٤٦ عن عملية الأعمال الاعتيادية لمصحة فاروق الأول التذكارية بالقصاصين وتطلب الشروط والرسومات من الإدارة على ورقة دمغة من فئة الثلاثين مليماً نظير دفع مبلغ ٤٠ جنيه أربعون جنيها مصرياً بخلاف مصاريف البريد .

٤٩٦٤